



عندما تكون المجازر ملماحاً أساسياً من ملامح إعمال سلطة ما لنفوذها، وعندما يسقط أكثر من مئة ألف شهيد ويكون ثمة أكثر من مليوني لاجئ ونازح سوري مفترشين العراء والجوع، فنحن أمام جريمة إبادة جماعية للجنس البشري يكون الصمت عنها أكثر دناءة وخسأة من مجرد ارتكابها.

وكما في ميونيخ الألمانية العام 1938 اتفق الأوروبيون وفي المقدمة منهم رئيس الوزراء البريطاني (تشيمبرلن) مع (هتلر) على التضحية بتشيكوسلوفاكيا لـ (إنقاذ السلام) في العالم، حينها صرحت ونستون تشرشل (لقد ذهبتم لتجنب الحرب وعدم مكالين بالعار وفي النهاية ستحتفظون بالعار وستقع الحرب) ... ها هو العالم اليوم يقبل بالعار وينكفي عن معالجة الأزمة السورية ليتخلّى عنها لصالح الجوع الروسي والنهم الإيراني الذي يرى في الجغرافية السورية مجالاً حيوياً لهيّبة الدولية المتأكّلة ومصالحه الإقليمية التوسيعية التي تتناقض كلّياً مع المصالح العليا للسوريين ..

لتستمر هذه الكارثة في ابتلاع الوطن السوري وتحويله إلى مجرد أشلاء تتصارع عليه ضباع الإقليم ويكون السوريون هم وقود ذلك الجحيم وحطّبها.

عيّنا يحاول السوريون التماس دعم أو حل في مشارق الأرض وغاربها ... بعضهم يسعى عيّنا لنسج حل مع الروس دون أن يدرك - أو هو يدرك ويقبل - أن سقف ما تملّكه روسيا للسوريين هو إبقاء الأسد مع الكثيّر من الماكياج لإخفاء معالم القبح والعهر البابادي على وجه نظام العصابة ، فروسيا قامرت بكل رصيدها في المنطقة على قلته عندما وقفت ضد إرادة السوريين بالتغيير وناصرت النظام بكل جرائمها ضد شعبه، وهي ستمشي بالشوط حتى نهايّته لأن سقوط الأسد ونظامه لم يعد يعني فقط سقوط الهيبة الروسية عالمياً واقليمياً بل يعني بدء اشتعال المعطف الروسي من جبّيه الشيشاني .

وعيّنا أيضاً يحاول معارضين آخرين إقحام أمريكا في ذلك الصراع في زمن الانكفاء الأمريكي عن كل ما لا يهدّد مصالحها الحيوية في (النفط وأمن إسرائيل) على نحو مباشر بالخطر ..

ولقد علمتنا التجارب أن من يلتحف غطاء أمريكا لا بد أن يستيقظ ذات ليلة عاريا!!!... ولعل ما صرّح به جون كيري وزير خارجيتها حول ضرورة جلوس المعارضة مع الأسد على طاولة المفاوضات يؤكد هذا المعنى .. فهذا التصريح لا يمثل فقط نكوصا عن كل ما اتفق عليه مع المعارضة السورية واللحفاء الإقليميين بل صفعة مؤلمة لوجوههم وركلة مذلة على مؤخراتهم.

واضح أن القطبين مختلفين على رؤيتهم للمستقبل السوري لكنهم في كل الحالات متفقين على ترك الأمور تأخذ مداها، وفي ظل الانغماض الروسي في المستنقع السوري ومد النظام بكل أسباب الديمومة لاترى الولايات المتحدة بالمقابل حاجة للتورط طالما الخصوم ينهمكون أنفسهم بأنفسهم..

ومع غض الطرف الأمريكي عن تقديم الدعم العسكري المحدود للمعارضة السورية ما تتيح لها تحقيق مكاسب محدودة وتوسيع مجال سيطرتها على مساحات جغرافية أخرى دون أن تتمكنها من الجسم الكامل يخشى السوريون أن يفضي ذلك لارتسام ملامح خطوط تماس جديدة بين المعارضة والسلطة لن يكون بمقدور \_ أو يتاح لـ \_ أي منها تغيير مناطق ارتسامها لتحول المسألة إلى حرب استنزاف مدمرة يخشى أن تنتهي - في أحسن الأحوال - إلى أفق حل دولي يرسم خريطة جديدة لسوريا تأخذ خطوطها وملامحها من ( اتفاق دايتون للسلام في البوسنة ) ويكون كل الأطراف بعد طول إنهاك جاهزين لتقبّله والركون إليه . وحدهم السوريون إذا من يتعين عليهم أن يدفعوا - ليس فقط ثمن حريتهم وتخاذل العالم عن نصرتهم بل وصراع وتجاذب المصالح الدولية على أرضهم - دما ودمارا وتشردا ، متذوكون لمصيرهم أمام أعتى وأحاط نظام يمكن أن تشهده البشرية ...

ولم يعد أمامهم اليوم إلا متابعة خوض الصراع إلى منتهاه بقواهم الذاتية وبالقليل من الدعم الذي يحصلون عليه مهما كانت الأثمان التي يترتب عليهم دفعها ، لأن النكوص إلى الوراء يعني بالضرورة موتا سريريا للمجتمع السوري لعقود طويلة آتية .

هي معركة ولادة جديدة لسوريين جدد ولسورية جديدة، يتطلعون للمستقبل يختلف كثيراً عما ألفه وتعايش معه آباؤهم ... ما يضمننا جميعاً أمام مسؤولياتنا الوطنية والتاريخية ، هل نبقى كمعارضين نتلهي بالخلاف على اقتسام جلد الدب قبل اصطياده ونرمي بسهام الغدر والضغينة ظهور بعضنا فيما يعمل النظام فيما آلتة العسكرية قتلاً ودميراً ؟؟؟ قليل من الاحترام لدماء الشهداء وألام المشردين تكفي لتسقط عنا أنانياتنا المفرطة ورؤانا القاصرة .. لنرى حقيقة المال السوري الكارثي الذي يوجب علينا نبذ الفرقة والتناحر لأنه السبيل الأمثل والوحيد لنتمكن من هزيمة العصابة وترميم ماتبقى من ركام وطن يلم شملنا ويبلسم جراحنا.

هو درب الآلام الذي يتعين علينا كسوريين السير عليه نحو خلاصنا من أجل سوريا التي نحلم والحياة التي نستحق .

المصادر: